

شعر

أَرْضِ عَمُودِيَّةٍ

زهير أبو شايب

ثلاثة أحلام

(١)

مَرَّ مَوْتُ يُشْبِهُ الأَطْفَالَ
 فِي التَّاسِعِ مِنْ آذَانَ
 وَالنَّسْوَةَ نَعْسَنَ القَنَادِيلَ
 وَخَبَّانَ بَقَايَا النَّارِ فِي أَجْسَادِهِنَّ
 ابْتَعَدَتْ فِي اللَّيْلِ جُدْرَانُ
 وَدَقَّاتُ قُلُوبِ
 وَسَمَوَاتُ
 وَمَرَّ القُرُوبِيُونَ
 عَلَيْهِمْ مَطَرٌ قَاسٍ
 وَزَيْتُونٌ مُسَنَّ يَحْمَشُ العَتَمَةَ
 مَرَّوَا مِنْ هُنَا
 مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ العَمُودِيَّةِ :
 رُوحِي
 لِيَرَوْا أَحْلَامَهُمْ مِنْ زَمَنِ آخَرَ
 مَرَّوَا مِنْ هُنَا

مثل بيوت تصعدُ الماضي
بأقواسٍ من الطينِ
ومرّوا.

قرويون
لهم أرواح غابات
وفي أحداقهم نومٌ قديمٌ
وممراتٌ رياح.
وضَعُوا قَلْبِي مَكشُوفاً
على الأرضِ
وظَلَّ المَطْرُ المَنسِيَّ يَسَاقِطُ
في الأحلامِ
ظَلَّ الغَيْمُ مرشوقاً على صدري
وظَلَّت بَرَكَ المَاءِ
كَلِيلَ مَيِّتٍ
في جَسَدِي
هيَ ذِي أحلامهم
كانوا هنا
خَلَّيْنَهُم في النومِ مرمتين.
هيَ ذِي
هَيَّأَهَا فَوْقِي
وَقَرَّبْتُ سَمَاءً...
لأراها.

(٢)

خفيفون
أحلامنا تتجولُ بين البيوت
وترفعنا كالغيوم عن الأرضِ
حتى نرى في السماء العميقة

عتمةً أرواحنا
تتفرسُ فينا.
كأنا نسينا ونمنا
كأنا سقطنا وراء المكان.

هنا
حيثُ تكملُ زيتونةً سنتي الأربعين.

هنا
حيثُ كان أبي وأبوها
يجرُّ المياهَ لنا
وينادي السماءَ كأبائه الأولين.

هنا
في رياح أمامية
يحدثُ البحرُ
تحدثُ شمسٌ يسابقها ضوءُها
في موازاة أحلامنا

.....

أينَ نحنُ
متى نحنُ
أينَ وضَعنا السماءَ العميقةَ
والأرضَ
أينَ وضَعنا مفاتيحَ أرواحنا
وأهلنا الترابَ على الحُلمِ
حتى نراه
!!!؟؟

كأنا نسينا ونمنا
لنوجدَ في حُلمٍ
لا يُطلُّ على أيِّ شيءٍ
سواهُ

(٣)

على حَجَرٍ ينامُ البحرُ
 قُربَ مِيَاهِهِ
 كأبٍ يَعُودُ مِنَ الظَّهْرِ نَاقِصاً
 وأنا هُنَا
 فِي الطِّفْلِ وَهُوَ يُطَلُّ مَرْتَباً
 على أَحلامِهِ
 وَيَرى غِيَابَ أَبِيهِ فِيهِ
 أنا هُنَا
 أَمْرٌ مِنْ حُلْمٍ إِلَى حُلْمٍ
 إِلَى زَيْتُونَةٍ
 وُلِدْتُ مَعِي فِي لَيْلِ آذَانِ.

ولستُ هُنَا
 ولستُ هُنَاكَ.

على حَجَرٍ طَرِيٍّ مِثْلَ قَلْبٍ
 تَحْلُمُ الفَوْضَى
 كَأَنَّ البَحْرَ غَادَرَنَا : أنا وَهُوَ
 الهَوَاءُ مَعَلَّقٌ فِيْنَا
 بغيرِ حَرَكَ.
 كَأَنَّ البَحْرَ غَادَرَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي...
 أنا وَهُوَ اخْتَلَفْنَا
 أَغْرَقْتُ شَمْسَ سَفِينَتِنَا
 وَأَلْقَيْنَا المِيَاهُ وَرَاءَ زَرْقَتِهَا
 وَلَوْحُنَا بِسُمْرَتِنَا الخَجُولَةَ مِنْ بَعِيدٍ
 لِلبَيْوتِ
 بِلا حكاياتِ
 وَلا ضَوْءٍ
 وَلا إِدْرَاكَ.